المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 17 أيـار 2025
No.17 May 2025

انطولوجيا الشعر والنثر وحوار السبق رؤى ومقولات بين المستشرقين والنقاد العرب في صراع الريادة

م.م زينب باقر جواد
كلية الآداب/ جامعة ذي قار
jawadzainb750@gmail.com

الملخص:

يحاول هذا البحث تسليط الضوء على أكثر الموضوعات جدلا في الساحة النقدية والأدبية، ودار جدل كبير بين النقاد العرب والمستشرقين منذ البدايات الأولى للنقد ومحاولات التأسيس ومازال الجدل دائراً حول الشعر والنثر أيهما أسبق. لم يهتد المدونون الأوائل الى حقائق تثبت اسبقية الشعر ولا النثر أيضا، وربما توزعوا على فريقين يرى أحدهما بان الشعر كان البداية الأولى ومنه انطلق الادب العربي والأخرى وجد في النثر وخطابات الكهان ما يؤسس لبداية الادب ومن تحت عباءته خرج لنا الشعر. وبين هذا وذاك ظلت الآراء والمقولات تتراكم عبر تاريخ من النقد العربي كان لابد من محاولة لجمع تلك الآراء والاتجاهات ومحاولة وضعها في إطار واحد لعل في ذلك العزاء لوقوف على أقرب المقولات اقناعا وأكثرها استدلالا لحسم هذه الجدلية ومعرفة البدايات وما اليها. وهنا كان لابد الإشارة بداية الى إن حديثنا عن النثر ليس بصورته العامة بما يشمل النثر المرسل وحديث العامة، بل سيقتصر حديثنا عن النثر الفني، إذ أن النثر بصفته العامة والذي هو حديث عامة الناس موجود وقديم قدم الإنسان ومنذ عرف الإنسان اللغة وبدا بالتعبير لغوياً.

الكلمات المفتاحية: أولية الشعر والنثر، النقد الأدبي، سجع الكهان، النشأة

Ontology of Poetry and Prose and the Dialogue of Precedence: Perspectives and Sayings Between Orientalists and Arab Critics in the Struggle for Leadership.

Ass.T. Zainab Bager Jawad
University of Thi Qae / College of Arts

Abstract

This research attempts to shed light on the most controversial topics in the critical and literary arena since the very beginnings of criticism and attempts to establish it, and the debate is still ongoing about poetry and prose, which comes first.The first bloggers were not guided by facts that prove the primacy of poetry or prose either, and they may have been divided into two groups, one of which believed that poetry was the first beginning and from which Arabic literature began, and the other found in prose and the letters of the priests what established the beginning of literature, and from under its cloak poetry came to us. Between this and that, opinions and sayings continued to accumulate throughout the history of Arab criticism. It was necessary to attempt to collect these opinions and trends and try to place them in one framework. Perhaps this is the consolation of finding the closest and most convincing sayings to resolve this dialectic and know its beginnings and what follows. Here, it was necessary to point out at the beginning that our talk about prose is not in its general form, as it is prose, and thus includes sent prose and public speech. Rather, our talk will be limited to artistic prose, since prose in its general capacity, which is the

speech of the common people, exists and is as old as man and since man knew language. He began to express it linguistically.

Keywords: the primacy of poetry and prose, literary criticism, soothsayers' rhyme, upbringing.

انطولوجيا الشعر والنثر وحوار السبق رؤى ومقولات بين المستشرقين والنقاد العرب في صراع الريادة

يقول المستشرق ريجيس بلاشير: ((كان للعرب، منذ زمن قديم جدا، نثر مسجوع، موقع ذو صلات وثيقة بالسحر. وقد تكون هذه الطريقة التعبيرية – كما يرى بعضهم – نقطة انطلاق الشعر العروضي والنظمي، وعلى كل حال فلم يكن تعايش هذين النوعين موضع شك على ما يظهر منذ القرن السادس الميلادي، فثمة علائم عديدة تحملنا على التفكير بان هذا النوع من النثر كون منذئذ، الشكل غير المألوف والجمالي لاشعوريا للفكر في المحال العربي[1].

فهو يعتقد بأنَّ بدايات النثر كانت في تلك المعابد، وتدرجت من لغة الكهان والسحرة، لمّا كانوا يصوغونه من حديث ذو صيغ سحرية مؤثرة و إيقاعية مسجّعة .

ويقول المستشرق بروكلمان في حديثه عن أولية الشعر العربي: بأنه كان تطوراً عن أساليب نثرية: ((ينبغي أن يكون أقدم القوالب الفنية العربية هو السجع، أي النثر المقفى المجرد من الوزن))[2].

فبدايات ذلك النثر كانت على يد الكهان الذي كانوا يسجعون في عباراتهم وفي خطبهم، وهو الأمر الذي نجد العديد من النقاد والدارسين قد توصل اليه واهتدوا الى أن ذلك الادب قد مر بمرحلة كانت فيها البداية مع أقول مسجوعة تعور الى جماعة من الكهان وسدنة المعابد الدينية ((وقد نقلت إلينا كتب الأدب طائفة من أقوال أولئك المتكهنين وهي كلها قائمة على السجع))[3] .

هذا ما يُعتقد في أصل النثر الفني وفي بداياته الأولية ، أما في العصر الجاهلي فنجد أن النثر أصبح في مرحلة متطورة وناضجة كنضوج الشعر ، فكانت هناك الخطب والقصص والمسامرات والأمثال والحكم والرسائل ، وفي ذلك يقول حنا الفاخوري ((والنثر اسبق أنواع الكلام في الوجود لقرب تناوله ، وعدم تقييده ، وضرورة استعماله ، وهو نوعان : مسجّع إن التزم في كل فقرتين أو أكثر قافية ، ومرسل إن كان غير ذلك ... ثم يقول ولم يعن الرواة من منثورهم على كثرته إلا بما علق بالذهن لنفاسته وبلاغته وإيجازه ، كالأمثال والحكم والوصايا والخطب والوصف والأقاصيص))[4].

والقول نفسه نجده عند شوقي ضيف: ((فمن المحقق انه وجدت عندهم ألوان مختلفة من القصص والأمثال والخطابة وسجع الكهان، ومن المؤكد أنهم كانوا يشغفون بالقصص شغفا شديدا))[5] .

ويرى بروكلمان في حديثه عن النثر: ((لم يكن الشاعر وحده هو الذي تهفو إليه النفوس وتسمو إليه الأعين عند عرب الجاهلية بل كان القاص يقوم أيضا مقاما إلى جانب الشاعر في سمر الليل بين مضاري الخيام لقبائل المتنقلة وفي مجالس أهل القرى والحضر))[6] .

إذن كان النثر العربي في الجاهلية جنساً أدبياً معروفاً وله رجالاته من الخطباء والحكماء والكهنة فضلاً عن الفنون الأخرى التي ربما تؤخذ من كلام العامة كالأمثال وأقاصيص السمر.

ونود أن نعرج على بعض أراء القدماء في أفضلية النثر والشعر وأوليتهما، وأيهما أسبق بالظهور، وأيهما كان سبباً في ظهور الآخر، ومن ينتصر للنثر على حساب الشعر ومن يتنصر للنثر على حساب الشعر.

إن أول حديث يصادفنا عن أولية الشعر والنثر هو قول الجاحظ، فالجاحظ يرى بأنَّ العرب كان لهم السبق بالشعر دون النثر وهذا معنى قوله: ((وأما الشعر فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله، سهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حُجر، ومهلهل بن ربيعة. وكتب ارسطاليس، ومعلمه افلاطون، ثم بطليموس، وديمقراطس، وفلان وفلان، قبل بدء الشعر بالدهور قبل الدهور، والأحقاب قبل الأحقاب، ويدل على حداثة الشعر، قول امرئ القيس بن حُجر، ويذكر أبيات من الشعر، ثم يقول فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له – إلى أن جاء الله بالإسلام – خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام)) [7] .

فالجاحظ يرجع الشعر إلى العرب، والنثر إلى اليونان، فهو قبل الشعر بالدهر قبل الدهور، والأحقاب قبل الأحقاب، أي أن ظهور النثر كان عند اليونان قبل ظهور الشعر عند العرب، ويقول ((وفضيلة الشعر مقصورة على العرب، وعلى من تكلم بلسان العرب)) ثم يتحدث عن صعوبة ترجمة الشعر ويقول بأنه إذا ترجم أصبح كالكلام المنثور، لأنه يرى بان المعاني موجودة لديهم ومعروفه ((ولو حولت حكمة العرب لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن، مع أنهم لو حولوها لم يجدوا في معانيها شيئا تذكره العجم في كتبهم)) [8] .

فالشعر عنده هو الأصل لأنه موزون ومقفى، وهذا هو ما يميزه عن الآثار الأخرى لدى الأمم، فلو ترجمته لذهب هذا الحسن وبقيت المعاني التي هي معروفة لديهم أصلاً.

ونجد ابن رشيق يجعل بعض الفضل للشعر على النثر، ويشبهه بالدر الذي ينتظم في عقد فيبدو أكثر بهاءً وجمالا، ويقول ((وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأمجاد، وسمحائها الاجواد، لتهز أنفسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم فتوهموا أعاريضاً جعلوها موازين الكلام، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً، لأنهم شعروا به، أي فطنوا.)) [9].

وهو بذلك يجعل السبق إلى النثر ومنه أُهتدي إلى الشعر بعد أن نظموا كلامهم في اعاريض توهموها

أما ابن سنان الخفاجي فيجعل لكل منهما ميزة وادوار وأغراض خاصة بأحدهما دون الآخر، وان هذه المميزات التي تجدها في احدهما هي سبب تفضيل البعض له، فالقائلين بأفضلية الشعر، فالوزن هو ما يحسن الشعر ويحصل للكلام به من الرونق ما لا يكون للنثر، يقول ((وأما التفضيل بين النظم والنثر فالذي يصلح أن يقوله من يفضل النظم أن الوزن يحسن الشعر ، ويحصل للكلام به من الرونق مالا يكون للكلام المنثور، ويحدث عليه من الطرب في إمكان التلحين والغناء به مالا يكون للكلام المنثور ، ولهذه العلة ساغ حفظه أكثر من حفظ المنثور ، حتى لو اعتبرت أكثر الناس لم تجد فيهم من يحفظ فصلا من رسالة غير القليل ولا تجد فيهم من لا يحفظ البيت أو القطعة إلا اليسير، ولو لا ما انفرد به من الوزن الذي تميل إليه النفوس بالطبع لم يكن لذلك وجه ولا سبب .)) [10]

كما أن الشعر يدخل في جميع الأغراض كالنسيب والمديح والذم والوصف والعتب، والنثر لا يدخل في جميع ذلك.

أما الذي يقول بتفضيل النثر فانه يعلم فيه أموراً لا تعلم بالنظم، كالمعرفة بالمخاطبات، وبينة الكتب والعهود والتقليدات، وأمور تقع بين الرؤساء والملوك يعرف بها الكتاب أمورهم ويطلع على خفي أسرارهم، وان الحاجة إلى صناعة الكتابة ماسة، والشعر فضل يستغنى عنه ولا تقود ضرورة إليه [11] .

ونجد ابن الأثير يفضل المنثور على المنظوم لجملة أسباب، يقول ((والمنثور منها أشرف من المنظوم لأسباب، من جملتها: إن الإعجاز لم يتصل بالمنظوم، وإنما اتصل بالمنثور. الآخر إن أسباب النظم أكثر، ولهذا نجد المجيدين منهم أكثر من المجيدين من الكتاب، بل لا نسبة لهؤلاء إلى هؤلاء، ولو شئت أن تحصي أرباب الكتابة، من أول الدولة الإسلامية إلى الآن لما وجدت منهم من يستحق اسم الكاتب عشرة،

وإذا أحصيت الشعراء في تلك المدة وجدتهم عددا كثيراً، حتى لقد كان يجتمع منهم في العصر الواحد جماعة كثيرة كل منهم شاعر مفلق، وهذا لا نجده في الكتاب، بل ربما ندر الواحد في الزمن الطويل.

ويذكر قولا لأبي إسحاق الصابي: ((والترسل مبني على مخالفة هذا الطريق، إذ كان كلاماً واحداً لا يتجزأ ولا يتفصل إلا فصولاً طولاً، وهو موضوع وضع مايُهذ هَذ أو يمر على أسماع شتى من خاصة ورعية، وذوي افهام ذكية وافهام غبية، فإذا كان متسلسلا ساغ وقرب، فجميع ما يستحب في الأول يكره في الثاني، حتى أن التضمين عيب في الشعر وهو فضيلة في الترسل. ثم قال بعد ذلك: والفرق بين المترسلين والشعراء أن الشعراء إنما أغراضها التي يرمون إليها وصف الديار والآثار والحنين إلى الأهواء والأوطار والتشبيب بالنساء والطلب والاجتداء والمديح والهجاء، وأما المترسلون فإنما يترسلون في أمر سداد ثغر، وإصلاح فساد، أو تحريض على جهاد، أو احتجاج على فئة، أو مجادلة لمسالة، أو دعاء إلى أُلفة، أو نهي عن فرقة، أو تهنئة بعطية، أو تعزية برزية، أو ما شاكل ذلك .))[12]. ويرد عليه بالقول بان لكل منها وظيفة معينة وأغراض مخصصة، فكما يكتب الشاعر في الديار والآثار ويحن إلى الأهواء والأوطار، كذلك يكتب الكاتب في الاشتياق إلى الأوطان ومنازل الأحباب [13] .

وهذا ما نجد عليه أبي هلال العسكري أيضا في كتابه الصناعتين، إذ يبين لكل صناعة (كما يسميها) شروط وما يجب على صاحب الصناعة الالتزام به[14].

أما القلقشندي صاحب كتاب صبح الأعشى فيقول في ترجيح النثر على الشعر:((اعلم أن الشعر وإن كان له فضيلة تخصه ومزية لا يشاركه فيها غيره من حيث تفرده باعتدال أقسامه وتوازن أجزائه وتساوي قوافي قصائده ، مما لا يوجد في غيره من سائر أنواع الكلام ، مع طول بقائه على ممر الدهور وتعاقب الأزمان ، وتداوله على السنة الرواة وأفواه النقلة لتمكن القوة الحافظة منه بارتباط أجزائه وتعلق بعضها ببعض ، مع شيوعه واستفاضته وسرعة انتشاره وبعد مسيره وما يؤثره من الرفعة والضعة باعتبار المدح والهجاء ، وإنشاده بمجالس الملوك الحافلة بالمواكب الجامعة بالتقريظ وذكر المفاخر وتعديد المحاسن ، وما يحصل عليه الشاعر المجيد من الحباء.... ويذكر الكثير من مزايا الشعر حتى يقول.. إلى غير ذلك من الفضائل الجمة والمفاخر الضخمة، فان النثر ارفع منه درجة، وأعلى رتبة، واشرف مقاما، وأحسن نظاما، إذ الشعر محصور في وزن وقافية يحتاج معها الشاعر إلى زيادة الألفاظ والتقديم فيها والتأخير، وقصر الممدود ومد المقصور، وصرف ما لا ينصرف ومنع ما ينصرف من الصرف، واستعمال الكلمة المرفوضة وتبديل اللفظة الفصيحة بغيرها، وغير ذلك مما تلجئ إليه ضرورة الشعر فتكون معانيه تابعة لألفاظه، والكلام المنثور لا يحتاج فيه إلى شيء من ذلك فتكون ألفاظه تابعة لمعانيه ، ويؤيد ذلك انك إذا اعتبرت ما نقل من معاني النثر إلى النظم وجدته قد انحطت رتبته .. الخ. ويقول : وناهيك بالنثر فضيلة ان الله تبارك وتعالى انزل به كتابه العزيز ونوره المبين الذي ((لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)) ولم ينزله على صفة الشعر بل نزهه عنه بقوله ((وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون)) وحرم نظمه على نبيه محمد ص تشريفا لمحله وتنزيها لمقامه منبها على ذلك بقوله ((وما علمناه الشعر وما ينبغي له)) وذلك أن مقاصد الشعر لا تخلوا من الكذب والتحويل على الأمور المستحيلة ، والصفات المجاوزة للحد والنعوت الخارجة عن العادة ، وقذف المحصنات ، وشهادة الزور ، وقول البهتان ، وغير ذلك مما يجب التنزه عنه لآحاد الناس فكيف بالنبي ص ولاسيما الشعر الجاهلي الذي هو أقوى الشعر وأفحله. بخلاف النثر فان المقصود الأعظم منه الخطب والترسل، وكلاهما شريف الموضوع حسن التعلق، إذ الخطب كلام مبني على حمد الله وتمجيده وتقديسه وتوحيده والثناء عليه والصلاة على رسوله ص والتذكير والترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا.. الخ))[15].

هذا ما وجدناه في آثار الأقدمين في حديثهم عن الشعر والنثر، إذ كان جل حديثهم عن أفضلية الشعر والنثر وأيهما أهم من الآخر، وما هي وظيفة كل منهما، ووجدنا من انتصر للنثر ومنهم من انتصر للشعر، ومنهم من ساوى بين الصناعتين (كما سماهما العسكري) .

أما عن علاقة النثر بالشعر ، فمن حيث النشأة لا يمكن فصل النثر عن الشعر، أو بعبارة أخرى لابد أن نجد لهما أصولا مشتركه في النشأة ، فكلاهما نشا في أروقة المعابد وجرى على السنة الكهان ، وكما كان النثر لغة الكهان ليؤثر في الناس بسحر العبارات ، كان معنى الشعر في جميع الأمم مرتبطا بالسحر وربما نجد معناه السحر نفسه في بعض الترجمات وفي ذلك ما نقله ديورانت في قصة الحضارة يقول : ((و الكلمة التي معناه الشعر عند الرومان وهي carmina تدل على الشعر وعلى السحر في ان واحد، والكلمة التي معناها نشيد عند اليونان وهي ode معنها في الاصل طلسم سحري ، وكذلك قل في الكلمتين الانجليزيتين tune و lay والكلمة الالمانية lied وأنغام الشعر وأوزانه التي لربما أوحى بها ما في الطبيعة وحياة الجسد من اتساق، فقد تطورت تطورا ظاهر على ايد السحرة الذين ارادوا ان يحتفظوا وينقلوا ثم يزيدوا من التأثير السحري لأشعارهم ،وبعد ذلك اخذ كل من الشاعر والخطيب والمؤرخ يتجهون اتجاها دنيويا في فنونهم بعد ان اتحدوا جميعا في الاصل الكهنوتي)) [16].

فالمؤرخ ول ديورانت يؤكد الأصل الديني أو السحري للفنون وانها أخذت بالانفصال شيئا فشيئا عن بعضها البعض وأخذت تبتعد عن أيد الكهان وسقوف المعابد إلى الاتجاهات الدنيوية والاجتماعية، وهذا ما وجدنا عليه الدكتور محمد غنيمي هلال في حديثه عن نشأة الشعر إذ يقول: فكان الشعر لغة الكهان الأول ولغة الفلاسفة والمشرعين الأول وهم معلمو الإنسانية في قديم عصورها، وكانت للشعر صبغته الميتافيزيقية التي تربطه بعالم غيبي اسطوري. وفي اليونان كان الشعر يوقع على نغمات العود، كما ارتبطت المسرحيات عندهم بأناشيد الجوقة، فكان الشعراء يهدون قومهم بالخيال والعاطفة إلى الحكمة في طريق محلى بزهور الكلمات والنغمات.

ثم يقول: وظل الشعر في القديم ذا صلة وثيقة بالإلهام الإلهي، وكان رمز هذا الإلهام ما تَبين عنه صلة هذا الشاعر بإلهة الفنون فيما تحكيه أساطير اليونان، ونظيره ما شهر عن العرب في عهدها الاسطوري، من إن لكل شاعر شيطانا يقول الشعر على لسانه، وجعلوا الشياطين قبائل كقبائل العرب، وقد ذهب خيال العرب بعيدا في هذا التصوير، إلى اعتماد الشعراء على الإلهام، ولهذا كانت الشياطين لكبار شعراء العرب دون صغارهم[17].

أما عن علاقة النثر بالسجع والرجز، فقد أشرنا في مقدمة البحث إلى أهمية السجع بالنسبة للنثر وانه كان سمته الملازمة له وان النثر بدون السجع لا يمكن تمييزه عن النثر المرسل والكلام العادي، ذلك في بادئ الأمر، ولو أن العرب التزموا السجع حتى في العصر العباسي في فنونهم النثرية.

إن ذلك السجع الذي اتشح به النثر العربي كان - في رأي بعض الباحثين – بذرة لنشوء الشعر ، كالدكتور عز الدين إسماعيل : ((فالراجح لدى مؤرخي الشعر العربي إن فن القصيدة هذا كان تطورا لفن الرجز في بداية الأمر ، لكن فن القصيدة يعتمد على أوزان أخرى غير وزن الرجز)) ، ويقول الدكتور احمد كمال زكي : ((اجل لقد بدا الشعر العربي أسجاعا تنشد وتتلاحم هذه الأسجاع شيئا فشيئا حتى تصبح خطبة ، ويبلغ شغف الأولين بهذا الجنس مبلغا لا يجدون عنده مفرا من البحث عما يضبطه ويقيده ، وهنا تكون المقابلات والمزاوجات والمراجعات والتقفية التي تصبح من جهة ضابطا لما ينشد ، ودليلا من جهة أخرى على خصوبة اللغة وسعتها)) ، ويقول لنجد قالب القصيدة على روي واحد ما يدل على اسلوب الأولين في الصياغة فثمة ارتباط قائم على الإيقاع والتقعير الذي يبلغ به المنشد مداه من الإراعة والتأثير ، ويقول بان البحث توصل إلى أن أول هذه الأجناس كان سجع الكهان داخل المعابد القديمة ، وفي مناسبات الوعظ والاستسقاء وعلاج المرض مع اصطناع السحر .

مذكرين برأي المستشرق بلاشير الذي ذكرناه في بداية البحث، إذ يقول: ((كان للعرب، منذ زمن قديم جداً، نثر مسجوع، موقع ذو صلات وثيقة بالسحر. وقد تكون هذه الطريقة التعبيرية – كما يرى بعضهم – نقطة انطلاق الشعر العروضي والنظمي، وعلى كل حال فلم يكن تعايش هذين النوعين موضع شك على

ما يظهر منذ القرن السادس الميلادي، فثمة علائم عديدة تحملنا على التفكير بان هذا النوع من النثر كون منذئذ، الشكل غير المألوف والجمالي لاشعوريا للفكر في المحال العربي))[18].

أما مسالة التشكيك بالنثر الفني قبل الإسلام ، فيوجزه لنا الدكتور زكي مبارك في الجزء الأول كتابه النثر الفني في القرن الرابع هذه المسالة ، مقسما المؤرخين إلى صنفين ، الأول مؤرخو الإسلام ، القائلين بأنه لم يكن للعرب نثر فني قبل الإسلام ، وان الإسلام هو الذي اوجد العرب وأنشأهم إنشاءً ، أما عند مؤرخي اللغة العربية فهم يشككون في كثير من النصوص التي أثرت عن العرب من خطب وأسجاع وأمثال ، ومنهم المسيو مرسيه وطه حسين ، القائلين بان العرب كانوا يعيشون عيشة أولية والحياة الأولية لا توجب النثر الفني لأنه لغة العقل وقد تسمح بالشعر لأنه لغة الخيال والعاطفة .

ويقول الدكتور زكي مبارك بان حجتهم في ذلك لماذا لم ينقل إلينا إن كان لهم نثر فني في ذلك العصر، فيرد عليهم بالقول إن ضياع تلك الآثار لا يلغي وجودها أصلاً، فيعود المسيو مرسيه بالقول بأنه كان لديهم خطب في العصر الجاهلي ولكن لا يوجد نثر فني كالذي يلجا إليه الرجل لإذاعة فكرة أو دفع شبهة أو إيضاح مشكلة.

أما رأي الدكتور زكي مبارك في هذه المسالة، فيتلخص بان العرب كان لديهم نثر فني حالهم حال الأمم المجاورة لهم كالفرس والهنود والمصريين واليونان وليس بمعقول ان يكون لهم نثر فني منذ قبل الميلاد بخمسة قرون ثم لا يكون للعرب حظ من ذلك الفن بعد خمسة قرون من الميلاد.

كما يرفض هذه الآثار القليلة التي نقلت إلينا مثل حديث خنافر الحميري، وخطبة قس بن ساعدة، وخطب الوفود العرب عند كسرى، ويجعل لها مبررات وتفسيرات تؤيد زعمه باختلاقها ووضعها بعد الاسلام، ويقول، إذا كان الشعر الجاهلي مهددا بمثل هذا الرفض مع اتفاق الباحثين على انه وحده موضع عناية الرواة والحفاظ والناسخين، فكيف يمكن الاطمئنان إلى صحة ما نسب إلى الجاهليين من النثر مع إن رعاية الرواة كانت قليلة، ومع إن من خطباء الإسلام نفسه من ضاعت آثارهم لقلة التدوين.

ويعود أخيرا بالسؤال ، إذا كيف نقول بان للعرب نثر فني ونحن نرفضه ؟((ليعلم القارئ ان لدينا شاهدا من شواهد النثر الجاهلي يصح الاعتماد عليه وهو القران))، فهو يجعل من القران شاهدا ناطقا ودليلا قاطعا على معرفة الجاهليين بالنثر الفني، ومن خلاله يمكن التعرف على مستوى النثر الفني الذي كان في ذلك العصر، والأساليب التي تمتع بها، والفنون البلاغية التي كان يتزخرف بها، بغض النظر عن التفرد الأدبي الذي تميز به القران، ولكن القران جاء متحديا لهم بأساليبهم وبما كان شائعا عندهم من فنون الكلام، وهو لا يخاطبهم بغير ما يفهمون، وهناك إشارات في القران بأنه أرسل الرسول بلسان قومه، وما كان القران إلا أداة لنشر الرسالة الكريمة التي أعزت العرب بعد ذل وهدتهم بعد ضلال .[19]

الهوامش:

(1) - ينظر: تاريخ الأدب العربي: ريجيس بلاشير، ص 202.
(2) - تاريخ الادب العربي، كارل بروكلمان، ص44.
(3) - الجامع في تاريخ الادب القديم: حنا الفاخوري، ص 110.
(4) - الجامع في تاريخ الادب القديم: حنا الفاخوري، ص 18.
(5) - العصر الجاهلي: شوقي ضيف، ص 399.
(6) - تاريخ الادب العربي: كارل بروكلمان، ص 67.
(7) - ينظر: الحيوان: الجاحظ، ج1 ص 74.
(8) - ينظر: نفسه، ص 75.
(9) - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، ص2.
(10) - سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، ص 287.

(11) - ينظر: نفسه، ص 288.
(12) - سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي: 7.
(13) - ينظر: نفسه ص 7-9.
(14) - ينظر: الصناعتين، لابي هلال العسكري ص 89.
(15) - صبح الاعشى، القلقشندي ج 1، ص 58.
(16) -: ينظر: قصة الحضارة: ول ديورانت، ج1 مج1 ص132.
(17) - ينظر: النقد الأدبي: محمد غنيمي هلال، ص342.
(18) - ينظر: تاريخ الأدب العربي: ريجيس بلاشير ، ص 202 .
(19) - ينظر: النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، ج1، ص 37-44.

المصادر:

- تاريخ الأدب العربي، ريجيس بلاشير، تعريب: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط1، 1956.
- تاريخ الادب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط5.
- الجامع في تاريخ الادب العربي- الادب القديم، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط1، 1986.
- الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط2، 1965.
- سر الفصاحة، لابي سنان الخفاجي، تحقيق علي فودة، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1932.
- صبح الاعشى، القلقشندي، دار الكتب المصرية بالقاهرة، مصر، 1922.
- الصناعتين، لابي هلال العسكري، تحقيق: البجاوي وأبو الفضل إبراهيم، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1، 1952.
- العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط11، 1960.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط2، 1955.
- قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت- لبنان، د.ط، 1988.
- النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، دار الكتب المصرية، مصر، ط1، 1934.
- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر، ط1، 1997.